# صعوبات البحث العلمي في التاريخ
# - في الجزائر-

د. رشيد باقة

جامعة باتنة

مدخـــــل:

إذا كان البحث العلمي يهدف في الأساس إلى إنتاج وتطوير المعرفة الإنسانية بما يؤدي إلى فهم الطبيعة والسيطرة عليها وتسخيرها لخدمة الإنسانية، فإن أحسن وسيلة يتوجب على الباحث اكتسابها كشرط أساسي لضمان النجاح في هذا الميدان الشاق هو: المنهجية، وتقنيات البحث الميداني.

ويخطأ من يعتقد أن عملية البحث العلمي في التاريخ مهمة بسيطة وسهلة، إنما هي في الواقع مهنة شاقة ومعقدة تتطلب الكثير من الجهد والمهارة والمواهب، وأن المؤرخ الباحث الذي يلج ميدان الدراسات التاريخية يصطدم بألف عائق، لأن مهمته متعددة الأوجه والجوانب. فهو يبحث ويدقق، ويفهم ويعلّم، ويكتب ويتأكد، وينتقد ويقيّم، وكل ذلك يتم تحت طائل الضغوطات السياسية والإيديولوجية والعرقية التي ما زالت تتحكم في الكثير من تصرفات شعوب البلدان المتخلفة ( بلدان العالم الثالث). ومن المعلوم أن الأبحاث والدراسات التاريخية في الجزائر ما زالت دون المستوى المطلوب مقارنة مع البلدان المتقدمة بسبب بعض المشاكل والعراقيل الذاتية والموضوعية. وتأتي هذه الدراسة بهدف تشخيص تلك الصعوبات والعراقيل التي ما زالت تعيق طريق الباحث الجامعي في الجزائر، مع محاولة رسم رؤية مستقبلية للحلول التي يمكن الأخذ بها للنهوض بمستوى البحث العلمي في الجزائر وتطويره.

**تعريف المشكلة:**

تعلمنا في المدرسة أن فهم المصطلحات من حسن التعلم، ومن ثمة سوف أبدأ مداخلتي بشرح وتحليل المفردات والكلمات التي يتكون منها عنوان المداخلة. فعلى الطالب الباحث المبتدئ أن يعلم جيدا بأن شرح مفردات ومصطلحات عنوان البحث les

termes du sujet تعد من أولى المراحل الأساسية في العمل البحثي، لأن ذلك يجعل الطالب يعرف عن ماذا يريد البحث؟ [1]، وبالتالي يستطيع رسم وتحديد محيط الدائرة الذي ينحصر في إطارها موضوع الدراسة[2].

أولى المفردات التي تحتاج إلى الشرح والفهم في هذا العنوان هي:

**1–الصعوبات = obstacles & difficultés**

ونعني بها المشاكل والعراقيل[3] التي قد تصادف الباحث أثناء قيامه بعملية البحث العلمي في ميدان ما، أو اختصاص ما، مع العلم أن كل عمل صالح مفيد يقوم به الإنسان يتطلب بذل مجهود معتبر ذهني أو جسدي[4]. هذه سنة الله في خلقه، فالله عز وجل خلق الكون وسخره للإنسان، وجعل السيطرة عليه والاستفادة منه مرهون بالسعي والجد والشقاء، فالشقاء في الأرض مكتوب على آدم وذريته في كل أعمالهم في الحياة الدنيا. **﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾**.[5]

على أن الصعاب التي يصادفها الإنسان أثناء مباشرة عمله لا تخلو في حقيقة الأمر، من مزايا إيجابية، لأن وجودها يمثل حافزا قويا يدفع به إلى التفكير في إيجاد الحلول المناسبة لها، ومن ثمة يأتي الخير والنجاح والتطور. **﴿إن بعد العسر يسرا﴾**.[6]

---

1 **﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (33)**

2 Alexandre, kojeve : **Esquisse d'une phénoménologie du droit**, exposé provisoire. **Paris, Gallimard**, 1943, p9.

3 كل ما تعسر ( العُسر).

4 لا يوجد عمل سهل ليس فيه مشقة تلك سنة الله في خلقه .

5 طه 117.

6 الشرح، 5 –6.

2- البحث:

معناه لغويا: أن تسأل عن شيء وتستخبره. والبحث عن أمر ما في ميدان العلوم يعني طلب معرفته بالطريقة العلمية.[1] لذلك لا يمكن فصل مصطلح علم عن مصطلح بحث عندما يتعلق الأمر بالدراسة في الجامعة، فالمصطلحان متلازمان ومتكاملان[2]، وعلى هذا الأساس يمكن تعريف مصطلح البحث العلمي (La Recherche scientifique) بأنه: « إتباع أسلوب منظم ودقيق بالفحص والتقصي في جمع المعلومات وتحليلها بغرض التوصل إلى حل المشكلات التي تؤرق الإنسان وتحيره » . أو بمعنى آخر: « هو مجموعة العمليات العقلية والتجريبية التي يقوم بها الإنسان ( الباحث ) بغرض إنتاج وتطوير المعرفة العلمية» . وهذا ما ذهب إليه العلامة فرانسيس بيكون F. Bacon، الذي يعد بالنسبة للغرب رائد الطريقة التجريبية والعلم الحديث، عندما أكد أن أهمية البحث العلمي تكمن في فهم الطبيعة واستغلالها لتطوير المعرفة. [3] فكلما كان البحث يهدف إلى تطوير المعرفة العلمية كلما كان علميا بامتياز.[4]

---

**1 الطريقة العلمية التي تهدف إلى استقصاء صحة معلومة أو فرضية أو توضيح موقف أو ظاهرة وفهم أسبابها وآليات معالجتها، أو إيجاد حل ناجح لمشكلة سلوكية اجتماعية، أو اختبار مدى نجاح تقنيات جديدة لتطوير المجالات الاقتصادية والعلمية. العلم يبدأ دائما ب: " أريد أن أعرف = La science commence par je veux savoir**

**2 فالعلم ليس مجرد مجموعة من المعارف ينبغي تحصيلها وفهمها فحسب، بل هو أكثر من ذلك نشاط منتج للمعرفة عن طريق الأبحاث والدراسات.**

**3 يقول بيكون الذي عاش خلال القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين (1561 1626م): المعرفة هي إحكام السلطة على الشيء a connaissance c'est un pouvoir للمزيد راجع كتابه Novum Organum scientiarum, English translation. Oxford: 2004=**

4 يجب هنا التمييز بين المعرفة العامة **la connaissance commune ou vulgaire** **التي تأتي عن طريق** التفسير العفوي للظواهر أو عن طريق الاعتقادات الدينية الموحى بها من إله أو رسول، فهذه المعرفة مسلم بها لا تقبل التحقق أو التمحيص. أما المعرفة العلمية **la connaissance scientifique** فهي على العكس من ذلك مجموعة من الأفكار المتباة التي يمكن قبولها أو رفضها بعد التحقق منها بالتجربة. للمزيد راجع: Bachelard, g : le nouvel esprit scientifique 9e Ed. Paris, puf. 1996

ومن المعلوم إنه لكي ينشأ علم ما يجب أن يتوفر عنصران هما: مادة une matière والإنسان l'homme[1]، فالمادة تشكل موضوع للبحث، والإنسان هو الباحث المختص الذي يقوم بالتقصي والفهم حول طبيعة المادة، ثم من مجموع المعلومات والمفاهيم والمعارف المستقاة عن طريق البحث والتحري حول المادة المدروسة ينشأ علم خاص بتلك المادة غالبا ما يأخذ اسمها. وانطلاقا من هذه القاعدة العامة يمكن القول: أنه إذا كانت مادة التاريخ هي كل الأعمال والآثار التي خلفها الإنسان الذي عاش في الأزمنة الماضية، فعندما يأتي باحث ويقوم بالبحث والدراسة في هذه الأعمال والآثار، ويستخلص منها حقائق يُعرف الآخرين بها، يكون بعمله هذا قد صنع معرفة علمية عن الماضي الإنساني، كما يكون، بالتالي، قد أنشأ علم التاريخ la science de l'histoire؛ لذلك فلا عجب أن يرتبط مصطلح التاريخ Historia بالشخص الأول الذي جمع ودرس ودون أعمال ومنجزات الناس في الماضي حفاظا لها من الضياع واستحق بذلك لقب أبو التاريخ le père de l'histoire . كتب هيرودوت Hérodote، الذي يعتبر مؤسس الرواية التاريخية، في مطلع كتابه الذي عنونه بـ: Historia[2] يوضح المغزى من تدوين أحداث الماضي قائلا: « أنا هيرودوت الهاليكارناسي[3] أعرض هنا نتائج أبحاثي( تحرياتي)= Historia كي لا تندثر أعمال الناس مع مرور الزمن، ولكي لا يغمر النسيان المآثر العظيمة التي أنجزها كل من اليونانيين والبرابرة.» [4].

---

1 **Pour faire une science il faudra deux choses : une matière, aussi un homme.**

2 **كلمة historia كلمة يونانية الأصل، وتعني في مفهوم اللغة اليونانية: البحث والتحري=enquête. أول من استعملها في الكتابة هو هيرودوت ( 482 425 ق م). أخذ الرومان هذا المصطلح ووظفوه في لغتهم بنفس المعنى، ثم انتقلت الكلمة بعد ذلك إلى اللغات الأوروبية الحديثة histoire بالفرنسية storia بالإيطالية history بالإنجليزية، ustoria بالإسبانية**

3 **هليكارناس halicarnass مدينة هيرودوت تقع في منطقة آسيا الصغرى.**

4 « **Hérodote d'Halicarnasse présente ici les résultats de son enquête (historia) afin que le temps n'abolisse pas les travaux des hommes et que les grands exploits accomplis soit par les grecs soit par les barbares ne tombent pas dans l'oubli.** » **Enquête, livre1, Ed de la pléiade, 1964.**

### 3- مفهوم مصطلح التاريخ والمؤرخ:

من خلال كلام هيرودوت نستخلص أن التاريخ Histoire هو حياة الناس في الماضي، وهو قديم قدم الإنسان على هذه الأرض، كما أن الموضوع الذي يدرسه علم التاريخ هو الإنسان، أو بالأحرى أعمال الإنسان في الماضي، لذلك اتفق رأي العلماء على تعريف التاريخ بأنه: « العلم الذي يعني بدراسة وفهم ماضي الإنسان؛ أو علم إحياء ماضي البشرية»[1] وتبعا لهذا المفهوم، فالمؤرخ هو الشخص الذي يختص في دراسة ماضي الإنسان، وينتج ويؤلف أبحاثا وكتبا فيه. وإذا كان المؤرخ هو من يعيد كتابة أحداث الناس في الماضي فمن الضروري أن يحوز على المؤهلات العلمية التي تسهل عليه صعوبات البحث، كرجاحة العقل، وسعة التحصيل، والتفقه في المنهجية، ومعرفة اللغات الأجنبية، واكتساب ملكة النقد والتقييم، وكلها صفات أساسية ضرورية للباحث يكتسبها عن طريق التكوين والممارسة، ولكل واحدة من هذه المؤهلات دور في إثراء عملية البحث وتقدمها.

### 4- الجزائر:

الجزائر بلد من العالم الثالث، وان ما يميز بلدان العالم الثالث على العموم، هو التخلف في جميع المجالات وعلى كل المستويات، يأتي على رأس هذه المجالات مجال الثقافة والتعليم، أو بمعنى أدق البحث العلمي.

أن الصعوبات والعراقيل التي تصادف الباحث في بلدان العالم الثالث أضعاف أضعاف ما يواجه زميل له في البلدان المتقدمة، ذلك أن البلدان المتقدمة استطاعت أن تذلل الكثير من الصعوبات والعراقيل المرتبطة بالبحث العلمي، بدءا من التكوين الجامعي الراقي، مرورا بإنشاء مراكز الأبحاث المجهزة بأحدث الأدوات والوسائل التكنولوجية التي تُخصص لها استثمارات ضخمة لتمويل مشاريع البحوث، وصولا إلى استغلال نتائج الأبحاث وبراءات الاختراع في تطوير عجلة الاقتصاد العالمية، وفي كل هذا تشجيع للباحث الذي يرى نفسه مساهما فعالا في الرقي بالعلم وخدمة البشرية. كم من العلماء دخلوا التاريخ من الباب

---

1 للمزيد، راجع بهذا الشأن: Michlet.J : principe de la philosophie de l'histoire ; Ed, de Vico (1827)
F, de Coulange : Leçons d'histoire. dans (Revue synthèse historique), tII, 1901, p243
Marc Bloc : Apologie pour l'histoire ou métier de l'historien.(1949)

النواسع بفضل أبحاثهم واختراعاتهم حتى صارت بلدانهم تتشرف بذكر أسمائهم. وبالعودة إلى الصعوبات التي تعرقل عملية البحث العلمي في الجزائر يمكن تصنيفها إلى نوعين من الصعوبات:

**أولا: الصعوبات الذاتية =difficultés à caractère subjective**

ونعني بها تلك التي لها علاقة مباشرة مع الباحث في حد ذاته، لان اختيار طريق البحث العلمي يتطلب، بالدرجة الأولى، الاعتماد على المؤهلات والقدرات الذاتية للباحث [1]، وهذه القدرات والمؤهلات لا تأتي بالفطرة إنما تكتسب من خلال مراحل التكوين العلمي الجيد والصحيح، في مؤسسات جامعية راقية، على أيدي أساتذة مؤهلين ومختصين." المواظبة تفوق الذكاء والفطنة". إن عنصر التأهيل (la compétence) الذي من المفترض أن يكتسبه الطالب الباحث كشرط أساسي قبل ولوجه ميدان البحث العلمي هو في الواقع غير متوفر على نطاق واسع في مختلف مؤسسات التعليم العالي بالجزائر لعدة أسباب منها:

أ- التكوين الناقص والرديء عبر مراحل التعليم العام بدءا من مرحلة الابتدائي والمتوسط والثانوي إلى الجامعي.

ب- نقص الإطارات المؤهلة تربويا وبيداغوجيا الكفيلة بتأطير التلاميذ والطلبة عبر مراحل التعليم.

ج- عدم احترام شروط وقوانين الالتحاق بالتخصصات في الجامعة وكذلك شروط النجاح في المسابقات المؤهلة للالتحاق بالدراسات العليا. ومن الصعوبات المسجلة في ميدان البحث العلمي في الجزائر والتي لها صلة مباشرة بشخصية الباحث ومؤهلاته العلمية، التقصير في تعلم المنهجية وفهمها فهما صحيحا، على اعتبار أن المنهجية هي مفتاح النجاح في أي مشروع أو بحث مفيد للدراسة، وفي غيابها يستحيل على أي باحث الاطمئنان في الوصول إلى حقائق دامغة مهما كانت محاولاته[2].

---

des 1 Mener une recherche scientifique suppose, en premier lieu, la mise œuvre compétences

2 Le Concept Méthode tire son origine du vocable grec «Methodos » (chemin) ou (voie) et désigne le moyen employé pour parvenir à des fins.

كل شيء بمنهاج. فلقد جاء في التنزيل: « لكل جعلنا شرعة ومنهاجا»[1]

كما جاء اتفاق رأي رجال العلم، من جهة أخرى، على انه لا علم بدون منهجية ولا منهجية بدون علم pas de science sans méthode et pas de méthode sans science. فالمنهاج ( أو المنهجية ) هي الخطة المرتبة ( المنظمة) بطريقة عقلانية للوصول إلى الحقيقة أو النتيجة العلمية[2]. وتماشيا مع هذا التعريف يمكن الجزم بأنه لا توجد طريقة موحدة للكشف عن الحقيقة أو الوصول الى نتيجة لأن طرق العلم ومناهجه تختلف باختلاف الموضوعات التي يدرسها كل باحث. وبمعنى أدق: كل موضوع دراسة يتطلب نوعا محددا من المناهج العلمية الملائمة له. ولما كان التاريخ هو العلم الذي يهتم بإعادة بناء وقائع الماضي من خلال ما خلفه الإنسان من أعمال وإنجازات، فإن المؤرخ يحتاج إلى إتباع منهجا خاصا هو المنهج التاريخي. يقوم هذا المنهج على البحث والتقصي وفق خطوات منسقة، تبدأ باختيار موضوع البحث كخطوة أولى، تتبعها خطوات متتالية ومتناسقة تشمل، جمع المادة العلمية من المصادر مع الحرص على نقدها وتقييمها للوقوف على درجة مصداقيتها، مرورا إلى الخطوة الثالثة المرتبطة بصياغة الفرضيات (hypothèses) لمعرفة الحقائق الكامنة وراء الأسباب والأبعاد الدافعة لحدوث الوقائع التاريخية ومحاولة تفسيرها على ضوء ما هو متوفر من أدلة وبراهين، وصولا إلى المرحلة الأخيرة المتمثلة في كتابة التقرير النهائي للبحث[3].

أ- الصعوبات تبدأ مع البداية. أجمع خبراء المنهجية على أن أصعب مرحلة في ميدان

---

1 قيل في التفسير: الشرعة هي الدين والمنهاج هي الطريق والسبيل.

2) جاء في قاموس اللغة الفرنسية تعريف المنهجية بأنه:

**2 Démarche organisée rationnellement pour aboutir à un résultat. (Dictionnaire de la langue Française).**

3 قسم الخبراء عملية البحث التاريخي إلى مراحل متسلسلة ومتتالية:

أول مرحلة هي اختيار موضوع الدراسة–ثانيا: ضبط الإشكالية وصياغة الفرضيات

**(Élaborer une problématique et formuler des hypothèses)**

ثالثا:الملاحظة وجمع المعطيات–رابعا: معالجة وتأويل النتائج

**traiter et interpréter les résultats les hypothèses sont les réponses possibles à** la question formulée

البحث العلمي تبدأ مع الشروع في عملية البحث. فإذا اهتدى الطالب منذ البداية إلى المسلك الصحيح، ووفق في وضع أولى خطواته على المسار السليم، أمكنه التحكم بعد ذلك في الوصول بأقل مشقة وتكلفة إلى النهاية. لذلك يقال: البداية نصف العملية [1]. ومن خلال البداية نتفاءل بالنهاية، وخطوة البداية في ميدان البحث العلمي تكمن في اختيار موضوع الدراسة L' objet où sujet d'étude. فمن المعروف أن العديد من البحوث والدراسات تفشل بشكل كبير من البداية بسبب إخفاق أصحابها في اختيار مواضيع مفيدة للدراسة وتحديد الإشكالية الرئيسية تحديد واضحا.

إن عنوان البحث الذي يختاره الباحث ليكون موضوع دراسته يمثل في حد ذاته العامل الأساسي الذي يؤثر بشكل مباشر في عملية البحث، بحيث على أساسه تحدد فرص نجاح المشروع من فشله. "ليس كل ما يلمع بذهب". فالكثير من الطلبة المبتدئين تستهويهم المواضيع الجديدة، البراقة، فيندفعون إليها من دون أن تكون لهم معرفة شاملة بطبيعة الموضوع، ومدى توفر المادة العلمية الكافية حوله، وهل هي في متناول أيديهم؟ بمعنى آخر: هل باستطاعة الطالب صاحب المشروع الوصول إلى المادة العلمية واستغلالها دون عناء ومشقة ؟ وهل المادة المتوفرة حول الموضوع الذي اختاره كافية لإنجاز رسالة جامعية، أو ربما أن المادة المتوفرة عنه تصلح فقط لكتابة مقال علمي ينشر في المجلات المختصة؟ [2] وبالمقابل، فإنه قد تبدو للباحث المبتدئ، منذ الوهلة الأولى، مواضيع عديمة الفائدة فيصرف نظره عنها مع أنه لو خصص وقتا كافيا لفحص مختلف جوانبها لاكتشف أنها تشكل ميدانا خصبا للبحث له فائدة كبيرة في حقل المعرفة، بل وقد تشرف من يتعهده بالبحث والدراسة.

وباختصار، يجب على الباحث المبتدئ أن لا يتسرع في اختيار موضوع دراسته، وعليه أن يستشير، قبل أن ينطلق في هذا المسعى، كل من يراه قادرا على إرشاده وتوجيهه

1 Le commencement et la moitié de l'action

2 هنالك أفكار جيدة تصلح لأن تكون مشروع بحث، لكنها لا يمكن تحقيقها في الواقع، لأسباب عدة: منها نقص المعلومات حولها، أو ربما لأن المادة الخاصة بها بعيدة عن متناول الباحث، كأن يحتاج للتعامل معها إلى معرفة اللغات الأجنبية، أو تتطلب إمكانيات مالية كبيرة، أو يجد معارضة من جهات معينة .

من خبراء ومختصين، يأتي في المقام الأول الأستاذ المشرف الذي قد يبين له الظروف المحيطة بالموضوع، ومدى قابليته للإنجاز في الآجال المحددة، كما قد ينصحه بتوسيع دائرة مطالعاته ( قراءاته) إلى مجموعة من المراجع التي لها صلة، من قريب أو من بعيد، مع موضوع البحث، ويدله على أماكن وجودها. لكن، في المقابل، إذا اعترض الأستاذ المشرف أو الخبير عن الموضوع الذي اختاره الطالب، أو أبدو بعض التحفظات عليه فيجب على الطالب، في هذه الحال، أن يسمع ويطيع ولا يصر ويعاند. ومهما يكن من الأمر فإنه يتعين على الطالب الباحث خلال هذه المرحلة الاستعانة بأدوات البحث الرقمية مثل:Thématique en ligne Bibliothèque numérique en ligne & Bibliothèque، مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة توسيع مطالعته إلى كل ما هو متوفر من منشورات وكتب حول موضوع الدراسة حتى لو كان بعضها ضعيف الصلة بالمجال الذي يتمحور حوله الموضوع، لأن القراءات الشاملة والمتنوعة تساعد الطالب الباحث على تكوين معرفة واسعة وإدراك جيد للموضوع الذي هو بصدد البحث فيه، كما تفتح أفاقا أمامه واسعة لاكتشاف كتبا وأعمالا جديدة لم يكن يبحث عنها أصلا، وهذا ما يسمى في ميدان البحث التاريخي بالسرندبية[1]Serendipité.

ثم أن الإلمام بالبحوث السابقة واستعراض الأدبيات الموجودة حول الموضوع الذي يشغل بال الباحث قد تفيده في عرض الإشكالية من خلال طرح أسئلة حول الموضوع،[2] تلك الأسئلة التي ينبغي أن يبحث عن إجابات لها في الواقع انطلاقا من الفرضيات النظرية التي يتصورها كحلول ممكنة لتلك الإشكاليات المطروحة. فالإشكالية la problématique في النهاية هي بمثابة البوصلة la Boussole التي تهدي التائه

**1 serendipité نسبة إلى مملكة سرنديب ببلاد فارس. وهذه التسمية مرتبطة بحكاية مشهورة: (حكاية البعير والمسافرين الثلاثة الذين من خلال البحث والتقصي اكتشفوا حقائق لم تكن في الحسبان... للمزيد حول هذه المسألة راجع Marie, Paul, jabnet : introduction à l'historiographie, p8**

**2 Faire de l'histoire c'est avant tout l'art de formuler des problématiques pertinent.**

**هناك أسئلة أربعة رئيسية تفيدنا في تحديد المشكلة بأكثر دقة: لماذا نهتم بهذا الموضوع، ما الذي نطمح** لبلوغه؟ ماذا نعرف لحد الآن ؟ أي سؤال يجب طرحه؟

للخروج من الغابة سليما معافى.[1] فإذا كانت الإشكالية تستنطق أو تستفسر الموضوع لاستخراج المشكلات الكامنة، فإن الفرضية (hypothèse) تمتحن، وتبرهن، وتقيم الدليل بما يفيد في الوصول إلى استنتاجات منطقية[2].

**ب- نقد مصادر المعلومات :**

يأتي في صميم منهجية البحث التاريخي نقد مصادر المعلومات قبل استثمارها في إثراء الدراسة، بحيث يتعين على الباحث في ميدان التاريخ، بادئ ذي بدء، أن لا يأخذ كل ما يعثر عليه من مصادر أو يقرأه بين طياتها من معلومات على محمل الجد، فيعتبره حقيقة مؤكدة لا لبس فيها ولا اعتراض عليها، فالكثير من الطلبة المشتغلين بميدان البحث التاريخي في الجزائر وبلدان العالم الثالث مازالوا بعيدين كل البعد عن القاعدة المنهجية التي تشدد على ضرورة التعامل مع مصادر المعلومات بحذر وتبصر شديدين. إن مصادر المعلومات التي يعتمد عليها المؤرخ في انجاز بحثه هي في معظمها مصادر غير مباشرة تصل إلينا إما عند طريق أشخاص شاهدوا وعايشوا الأحداث ودونوها زمن حدوثها، وإما من أشخاص آخرين سمعوا بها وكتبوا عنها حسب ما وصلت الى مسامعهم، هذا زيادة على أن الكثير من تلك السجلات والوثائق التي تركها الإنسان قد تتعرض للتلف والتزوير والاحتيال بسبب عامل الزمن، أو بسبب ما تحتويه من معلومات وأدلة قد تشكل خطورة على جهات معينة[3]. لهذا السبب يتعين على

---

1 **La problématique c'est la boussole qui vous guidera pour sortir de la forêt sain et sauf.**

2 **Si la problématique s'expose les hypothèses se démontrent, les hypothèses sont la réponse possible à la question formulée**

**3 من أكثر السموم خطورة التي تفسد الشهادة وتزيف الحقيقة هو الاحتيال l'imposture فلقد كشفت التحقيقات التاريخية القائمة على منهج النقد عن العديد من عمليات الاحتيال والتزوير حدثت على مر التاريخ كانت ورائها جهات نافذة نذكر منها على سبيل المثال:**

أ. وثيقة هبة قسطنطين **la donation de Constantin** التي وضعتها المؤسسة الدينية في الفاتيكان خلال القرن الثامن الميلادي واكتشف زيفها العالم **Lornzo valla** في القرن **15**م.

ب. كل الرسائل التي نسبت للملكة الفرنسية ماري أنطوانيت ونشرت في الصحافة بإمضائها قد تبين فيما بعد، أنها مزورة. «بواسطة الحبر يمكن لأي شخص أن يكتب ما يشاء **Avec l'ancre n'importe qui peut écrire n'importe quoi**. هذه صرخة غضب صدح بها أحد الكتاب في أوروبا زمن العصور

من يتعامل مع هذه الوثائق التاريخية لا يتوخى الحذر، قبل أن يشرع في استخدامها في بحثه بأن يطرح على نفسه السؤال المنطقي التالي: ما مدى أصالة تلك الوثائق، وما مدى مصداقية وموضوعية ما احتوته من أخبار ومعلومات؟

كل المصادر مشكوك فيها حتى تثبت صحتها". هذه قاعدة عامة في منهجية البحث التاريخي، وهي عكس القاعدة الأساسية المتبعة في ميدان العدالة التي تنص على: "أن كل متهم بريء حتى تثبت إدانته ".[1] فالشك في ميدان التاريخ يعد سلاح الباحث، والشك Le doute= هنا لا يعني الارتياب =Le scepticisme، إنما المقصود أن يتوقع الباحث، دوما، بأن هناك إمكانية لمعرفة أكثر واشمل حول الشيء الذي يدرسه[2]. وتبقى الوسيلة الوحيدة للتأكد من صحة الوثيقة وحقيقة ما ورد فيها من أخبار ومعلومات هي إخضاعها لعملية النقد المنطقي الموضوعي، وعملية النقد في منهجية التاريخ تتم على مرحلتين:

الأولى: مرحلة النقد الخارجي Critique externe وفيها يجتهد الباحث للتأكد من حقيقة هوية الوثيقة وأصالتها، بمعني إثبات صحة الأصل من خلال معرفة صاحب الوثيقة، مكان صدورها، زمان كتابتها، ثم هل هي الأصل أم منسوخة (أعيد كتابتها لا

---

**الوسطي عندما كان يحاكم من طرف إحدى المحاكم الدينية التي اتهمه بأنه كتب أشياء تسيء للكنيسة.**

للمزيد، راجع: **Marc Bloc : op cit, p48**

**1 ومع ذلك فإن القضاة لا يثقون دوما في الشهود ويتعاملون مع شهاداتهم بحذر شديد. يقول الجاحظ: «وأعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة لها لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة لها».**

**2 الشكاك Le Douteur هو العالم الحقيقي لأنه يشك في استنتاجاته وتأويلاته لكنه يؤمن بالعلم. بينما المرتاب Le sceptique هو من يصدق نفسه فقط، ويرتاب في كل شيء حتى في الحقائق التي تم البرهان عليها بالمنطق والتجربة.**

**«Le sceptique ne doute que pour douter » R. Descartes**

**«Le sceptique ne croit pas à la science» Cl. Bernard**

يقول الفيلسوف أرسطو: «الشك بداية الحكمة **Le doute est le commencement de** la sagesse". لذلك اتفق رأي الحكماء على إن استقامة العقل تقوم على أساس عدم تصديق كل ما نسمع أو نقرأ عنه(2). وهذا ما ذهب إليه كذلك العالم والفيلسوف Descartes الذي انطلق من قاعدة الشك العالمي le doute universel للوصول إلى معارف لا ريب فيها للمزيد راجع:

R. Descartes : discours de la méthode pour bien conduire sa raison et chercher la vérité dans la science, 1737, Tr. Fr. 1947

حقا)؟ وكل ذلك يتم وفق عملية شاملة ودقيقة يراعى فيها فحص جميع الحيثيات، - ... الورق- الحبر - الخط — اللغة- المصطلحات - القواعد... وغيرها.

الثانية: مرحلة النقد الداخلي Critique interne وهي مرحلة تعتمد في غالبية خطواتها على علم النفس العام من حيث محاولة فهم وإظهار الحالات النفسية والمواقف المؤثرة التي مر بها مؤلف الرواية أو الوثيقة، وذلك قصد الوصول إلى معرفة الغرض الذي دفعه إلى الكتابة، وماذا أراد أن يوصله للناس من وراء ذلك؟ هل كان صادقا ومؤمنا بما قاله؟ هل تأكد من كل الأشياء والحيثيات التي كتبها؟ وما هي المكانة التي كان يتمتع عندها زمن الكتابة ؟ هل كان مسئولا أم مرؤوسا؟ ضابطا أم جنديا؟ في حالة استقرار وصفاء ذهني أم تحت الضغط والإكراه؟ هل كان قريبا من الواقعة أم بعيدا عنها؟...الخ لقد أمرنا الشرع بأن تكون شهادتنا في كل الحالات يقينية لا لبس فيها، معنى الآية: «إلا من شهد بالحق وهم يعلمون.»[1] كما أن رواية الكذابين والفاسقين وأصحاب الأهواء لا يعتد بها إطلاقا في الكتابة التاريخية. «وإن جاء كم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين»[2] إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون».

## ج- إصدار الأحكام التقييمية:

ومن المطبات التي كثيرا ما يقع فيها الباحثون المبتدئون في ميدان التاريخ تسرعهم في إصدار الأحكام على الأشخاص أو على أعمالهم (Jugements de valeur) فيخونون هذا ويمجدون ذاك، ويدينون هذا ويبرئون ذاك، ويثنون على عمل هذا ويقبحون عمل ذاك،[3] بمعنى أنهم يضعون أنفسهم في مكان القاضي الذي يصدر أحكاما،[4] مع أن غاية المؤرخ هي إثبات الحوادث كما جرت في الواقع، ووصف الأفكار والأعمال كما وقعت في الزمان والمكان دون زيادة ولا نقصان. والمؤرخ المحترم لا يسمح لنفسه بأن يتجاوز

---

1 الآية: الحجرات: 6

2 الآية: الحجرات: 15

3 كثيرا ما نسمع من يصدر أحكاما قاسية على بعض زعماء الحركة الوطنية فيتهمونهم بالتقصير والخيانة

4 يقول باسكال Pascal: tout le monde fait le dieu en jugent cela bon ou mauvais

عمله مجرد الوصف والإثبات لأن الحكم في الصواب أو الخطأ، والخير والشر، والإدانة والخيانة يعتبر من الوجهة المنطقية أمرا لاغيا ولا معني له، لكونه يخضع لمقاييس ومعايير أخلاقية معينة هي أقرب إلي عصر المؤرخ منها إلى العصر الذي جرت فيه الوقائع. وكمثال ملموس على ذلك: أنه لا يمكن لأحد من المعاصرين أن يجرم تجار الرقيق في العصور القديمة لأن تطور المجتمعات البشرية، حينذاك، كان في مرحلة لم تكن تسمح له بغير ذلك. كذلك الحال فيما لو عرضت قضية شخص ما من العهود السابقة على القضاء في الوقت المعاصر لاستلزم الأمر للنظر فيها الرجوع إلي الشرائع والقوانين المعمول بها وقتذاك. ان العمل التاريخي يقتصر فقط على الفهم = l'Histoire doit seulement comprendre. وإذا كان لا بد من الحكم على رجال الماضي وأعمالهم فإن مهنة المؤرخ في هذا الجانب تقتصر على تهيئة المادة لأصحاب الاختصاصات الأخرى، ويترك لهؤلاء أن يعالجوا هذه المادة ويصدرون أحكاما بشأنها كل حسب اختصاصه، فإن كان العمل سياسيا كان من مهمة العالم السياسي أن يحكم له أو عليه بمقاييس عمله، وإذا مت بصلة إلى الاقتصاد أو الاجتماع كان نقده من وظيفة أرباب هذا العلم أو ذاك، أما الأحكام الأدبية والأخلاقية فلنتركها للفلاسفة ورجال الدين يقيمونها حسب سلم المقاييس والمعايير السائدة في ذلك الزمان.

**ج– السرقات العلمية ( الأدبية)Plagiat**

و من بين الصعاب المرتبطة بشخصية الباحث ومسؤوليته، الإقبال على سرقة أعمال وبحوث غيره فيما يعرف بالسرقات العلمية plagiat، إذ غالبا ما يحدث هذا الأمر عندما يتعمد بعض الطلبة الفاشلين اختيار مواضيع هم يعلمون مسبقا أنه تمت دراستها من جهات أخرى داخلية أم خارجية، ويلجئون عندئذ إلى عملية النقل الحرفي لتلك الأعمالcopie collé [1]، سواء تعلق الأمر بالمذكرات والرسائل أو المقالات، بل لقد

---

**1 Plagiat : c'est un vol littéraire. Le plagiat consiste à s'approprier les mots ou les idées de quel qu'un d'autres et le présenter comme siens** (petit robert). Ce vol et donc passible de sanction

طالت (البلاجيا) حتى مجالات التأليف والنشر. ومما ساعد هذه الظاهرة على الانتشار والشيوع، اتساع دائرة استعمال الإعلام الآلي وشبكة الانترنت.

المعلوم أن هذه الظاهرة السلبية استوقفت الجهات المختصة في الدول الغربية، وعمد الخبراء فيها إلى تكثيف جهودهم لتطوير برنامج يكشف ويفضح السرقات العلمية Logiciel anti plagiat، كما حاولوا تعميمه على مختلف الجامعات والمؤسسات التعليمية. أما في بلدان العالم الثالث ( المتخلف) فهذه الظاهرة صارت مستفحلة في غياب الرقابة والعقاب إلى درجة أنها أضحت وسيلة فعالة يلجأ إليها الطلبة عمدا ودون حياء أو تردد كلما تعلق الأمر بإنجاز البحوث والأعمال التطبيقية. واعتبارا لهذا الواقع المرير يمكن القول أن مفهوم البحث العلمي، الذي يعني عند الغرب التحري والاستقصاء المنظم بهدف إنتاج وتطوير المعرفة، فإنه تحول في بلدان العالم الثالث إلى إعادة نسخ واجترار للمعارف السابقة مع التوسع بغير حدود ولا حياء في آفة السرقة.

**د– الجهل باللغات الأجنبية.**

يقول العلامة الألماني غوته Goethe: « من لا يعرف اللغات الأجنبية لا يعرف لغته

Celui qui ne connais pas les langues étrangères ne connait pas la sienne.

إن معرفة اللغات الأجنبية وإتقانها يعد شرطا أساسيا للنجاح في مجال البحث في علم التاريخ، لأن التاريخ يكتب من المصادر الأصلية، ودراسة المصادر الأصلية واستخلاص المادة العلمية منها يستلزم الفهم الجيد للغة التي كتبت بها تلك المصادر، وأن لا يعتمد الباحث في ميدان التاريخ، بأي حال من الأحوال، على الترجمات التي قد تشوه المعاني الأصلية وتحرفها. يقول مثل إيطالي قديم: المترجم خائن. « traduttore,traditore »[1] بمعنى أنه لا توجد ترجمات دقيقة وسليمة. ومثال على ذلك: أن المهتمين بالبحث والدراسة في تاريخ الجزائر في العهود القديمة، فنظرا لعدم فهمهم وتفقههم في اللغات القديمة التي كتبت بها مصادر تلك الحقبة، كالإغريقية واللاتينية والتيفيناغ[2]. فهم على هذه الحال، لا يكتبون تاريخا عن الجزائر في العهد القديم، إنما يدرسون ويكتبون ترجمة لما كتبه الأجانب عن العهد القديم في الجزائر.

---

1 Traduire c'est trahir, ou littéralement « Traducteur, Traître »

2 لا يقتصر الأمر على تعلم اللغات القديمة وإنما كذلك التفقه في علم الباليوغرافيا = paléographie علم

ثانيا: الصعوبات الموضوعية = Difficultés à caractère objective

الطالب الباحث في ميدان التاريخ لا يواجه أثناء القيام بعمله صعوبات ذاتية فحسب بل تعترضه كذلك عراقيل موضوعية خارجة عن نطاقه، لا يتحكم فيها، وهذا النوع من العراقيل يصادفها الباحث مباشرة عندما يشرع في التعامل مع الواقع الميداني، أي عندما يبدأ في البحث عن الوثائق (المصادر) واستثمارها.[1]

**أ- صعوبة البحث عن المصادر واستثمارها**

إذا كان علم التاريخ يهتم بدراسة ماضي الإنسانية، فإن هذا الماضي لا يعرفه المؤرخ بطريقة مباشرة، كما لا يمكن إعادته بالتجربة، والوسيلة الوحيدة لمعرفته هي الوثائق = Documents أو المخلفات = les traces إن عمل المؤرخ يقوم في الأساس على إعادة بناء أحداث الماضي من خلال الاعتماد على ما خلفه الإنسان عن تلك الأحداث، أي مختلف الأفكار والأعمال التي أنجزها الإنسان في الماضي. وبمعني أدق، كل مصدر للمعلومات قد يفيد المؤرخ في معرفة الحياة التي عاشها البشر في الأيام الخوالي سواء كانت تلك المصادر فكرية أو مادية.[2]

التاريخ يكتب من المصادر ( الوثائق ) فإذا ضاعت المصادر ضاع التاريخ Pas de document pas d'histoire، كذلك الحال عند ما لا تتوفر مصادر قيمة موثوقة، فلا يمكن

---

**فك المخطوط القديمة. التاريخ الفرعوني égyptologie لم يبدأ إلا مع اكتشاف الخط الهيليوغريفي من طرف العالم الفرنسي Champollion. 90% من وثائق تاريخ الجزائر المعاصرة مدونة باللغة الفرنسية. 50% من وثائق العصر الحديث في الجزائر مدونة باللغة التركية.**

1 تعتبر هذه المرحلة ( مرحلة جمع المعطيات) أي جمع المادة العلمية من المصادر والمراجع المرحلة الثالثة في منهجية البحث لأن المعيار الذي يجب أن يؤخذ به الباحث بعين الاعتبار أثناء طرح الإشكالية يدور حول إمكانية الوصول إلى الوثائق الضرورية التي يمكن أن تقدم إجابات صريحة على التساؤلات المطروحة. والباحث في هذه المرحلة إذا ما قدر بان هناك استحالة للوصول إلى المادة أو جزء منها بسبب غياب المصادر فإنه يتعين عليه، وقتها: تغيير عنوان البحث أو تعديله.

2 الوثائق = Documents من الأصل اللاتيني = Documenta: تعني مخلفات أو بقايا = Trace.
وهي عند المؤرخ جميع الآثار التي خلفها الإنسان وراءه سواء كانت أفكارا أو أعمالا. للمزيد، راجع:

- **Samariu.C : l'Histoire et ses méthodes. paris. 1961.p1247**
- Tout ce que l'homme dit ou écrit, et tout ce que l'homme fabrique.

كبيرة (قول مشهور) Pas de bonnes documents pas de bonne histoire[1]

المصادر التاريخية هي وثائق تاريخية تحتوي معلومات تتعلق بماضي شخصية مهمة، أو عن حادثة إنسانية مؤثرة. [2] على أن أفضل الوثائق وأشهرها، على الإطلاق، هي الوثائق الرسمية المكتوبة، وبخاصة تلك التي تصدر من جهات مسئولة، مثل: المراسيم، والقوانين والبيانات والتعليمات والقرارات، والعقود، والسجلات، والأحكام التي تصدر من مختلف دواوين الدولة. وتكمن أهمية مصادر التاريخ وقيمتها العلمية في كثرتها وتنوعها، فكلما كانت المصادر عن حادثة تاريخية معينة متوفرة بكثرة ومتنوعة، كلما كانت نسبة مصداقيتها كبيرة، وسهلت على الباحث عملية إعادة بناء وتركيب وقائع الماضي بما يجعله يقترب من الصورة الحقيقية والمتكاملة لتلك الوقائع . وعلى هذا الأساس يمكن القول، أن كل عمل أو فكر لم يترك آثارا مباشرة أو غير مباشرة على حياة الناس يعد من الوجهة التاريخية عملا مفقودا كأنه لم يوجد أصلا، وهذا ما يفسر حقيقة جهلنا التام عن حقب كثيرة من تاريخ الإنسانية بسبب اندثار المصادر الخاصة بها. لا شيء في التاريخ يعوض المصادر. وفي السياق ذاته اتفق رأي المؤرخين على أن الاعتماد على الشهادة الواحدة أو الرواية الواحدة في كتابة وقائع الحادثة التاريخية يعد من الأمور الغير محبذة على الإطلاق، على اعتبار إن الحادثة التاريخية ليست حادثة فردية ( شخصية )، إنما هي حادثة إنسانية جماعية، ثم إن الرواية الواحدة المنفردة مشكوك في صحتها لأنها لا يمكن مقارنتها بروايات أخرى قد تدعمها أو تدحضها. مثال روماني قديم يقول: "شهادة واحدة يعني شهادة ملغاة" أو بمعنى آخر "شاهد واحد يعني لا يوجد شاهد، Testis unus Testis «nulus». كذلك العسل لا يصنع من زهرة واحدة.

---

1 Ch. Langlois.= introduction aux études historiques. Paris 1998

2 والمصادر نوعان:

أ– مصادر أصلية sources d'origine، وتسمى كذلك مصادر أولية sources primaires. كما تعرف أحيانا بمصادر الأدلة sources preuves وهي المصادر الأولي للمعلومات. وتكون إما مخطوطة أو مطبوعة.

ب– مصادر ثانوية sources secondaires، وتسمي أيضا مصادر مشتقة، وهي التي تكون قد أخذت أو اعتمدت على المصادر الأصلية إما بالنقل أو الشرح أو التأويل.

ومن المعلوم ان مكان وجود مصادر المعلومات التي تخدم البحث التاريخي، مهما كانت نوعيتها، هو دور الأرشيف والمكتبات العمومية، فهذه الفضاءات العلمية تتمثل مهمتها الأساسية، حسب ما جاء في ميثاق منظمة اليونسكو Unesco، في جمع وحفظ مصادر المعرفة وتقديم خدمات مجانية في ميدان الإعلام والتربية والتعليم والثقافة لجميع الفئات البشرية، من غير تميز لا في الدين ولا في العرق ولا في الجنس ولا في اللغة ولا في الانتماء الوطني.[1] فالمكتبات ودور الأرشيف توفر مجموعات ثرية ومتنوعة من مصادر المعلومات : مخطوطات– كتب– أقراص مضغوطة وكل أنواع التسجيلات السمعية البصرية، وتؤمن الوصول إليها إما مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، أي عبر الأنترنت[2].

ان هذه المكتبات ودور الأرشيف تعد بمثابة المادة الأولية للباحث في ميدان التاريخ[3]، غير أنه لكي تتمكن كل من دور الأرشيف والمكتبات العمومية ومراكز البحث من أداء مهمتها النبيلة على أكمل وجه يشترط فيها أن تتوفر على أدوات البحث الضرورة outils nécessaires de recherche المتمثلة أساسا في التجهيزات التكنولوجية المتطورة، والوسائل البشرية المؤهلة التي توفر، مجتمعة، للباحثين الظروف الملائمة للوصول إلي ما يبحثون عنه بأقل جهد وأسرع وقت. ومن بين أدوات البحث المتطورة التي توصلت الدول المتقدمة إلي إدخالها وتعميمها على منظومة البحث التوثيقي: رقمنه كل مقتنيات المكتبات ودور الأرشيف مع نشر بعضها على شبكة الانترنت، فيما صار يعرف بلغة البحث الأكاديمي بالمصادر الرقمية sources numériques. ففي بريطانيا، على سبيل المثال، تم رقمنه كل مقتنيات مركز الأرشيف البريطاني، كما تم ربطه بشبكة الانترنت بحيث صار بإمكان أي إنسان الاطلاع على وثائق الأرشيف البريطاني من خلال هذه الوسيلة الغير مباشرة.، نفس الشيء أقدمت عليه كل من أمريكا وفرنسا وألمانيا وايطاليا وغيرها من

---

الباحث ينتج المعرفة، الناشر ينشرها ويوزعها والمكتبة تخزنها وتضعها في متناول المهتمين والباحثين

1 **Le chercheur crée le savoir, l'éditeur le diffuse, la bibliothèque le tock et contribue à le rendre accessible**

2 **Bibliothèque = du grec ancien biblio = liche et theke= place : est le lieu ou st conservée et lue une collection organisée de livre.**

3 les archives ne sont que le matière première pour les historiens

الدول المتقدمة، بل هناك من الدول من وضع محركات بحث Moteurs de recherches عبر الانترنت للبحث البيبلوغرافي بجميع أنواعها: مطبوعات – مجلات – مقالات – رسائل جامعية ،الخ.[1]

وإذا كانت أدوات البحث العلمي لوحدها لا تنشأ العلم، كما يقال: l'outil ne fait pas la science لأن هذه الأدوات مهما كانت متطورة فهي تحتاج إلي عناصر بشرية لها مؤهلات عالية تشغلها لخدمة عمليات البحث وإنتاج المعرفة. فإن ما يلاحظ على أرض الواقع، في هذا المجال، يبين أن الكثير من أدوات البحث العلمي المتوفرة لدى الدول المتقدمة، هي مازالت بعيدة المنال في الجزائر ومختلف بلدان العالم الثالث، بل على العكس من ذلك، فإن العديد من المكتبات العمومية ومراكز البحث في هذه البلدان مازالت تفتقر لأبسط أنظمة العمل التوثيقي. ومن أمثلة الفوضى والعوائق التي يعاني منها الباحثون في الجزائر وبلدان العالم الثالث على العموم:

1– وجود وثائق رسمية معينة لا يسمح للباحثين بالاطلاع عليها Documents non accessible au public.

2– وجود وثائق ومصادر للمعلومات غير مرتبة بطريقة سليمة، أو ربما رتبت بطريقة خاطئة أو غير كاملة، إذ كثيرا ما يطلب الباحث عنوانا ما ليتفاجأ، بعد أن يمر على انتظاره داخل المكتبة مدة زمنية طويلة، بأن العنوان الذي طلبه مفقود، وقد يحضرون له، في بعض الأحيان، عنوانا مخالفا يحمل نفس رقم العنوان الذي طلبه، كما قد تتكرر الحالة نفسها عندما يطلب جزء من كتاب، أو عدد من مجلة. والأدهى من ذلك أنه حتى عندما تقتني المكتبات الجامعية في الجزائر مراجع جديدة فإنها غالبا ما تتأخر عن إدراجها ضمن فهارس البيبليوجرافيا للإعلام عن وجودها.

3– غياب أرشيف كامل عن حقبة معينة من تاريخ الجزائر فمثلا: لا توجد المصادر الأولية les sources primaires عن فترة العهد القديم، كما أن أغلب الوثائق والسجلات الإدارية الخاصة بمرحلة العصور الوسطى مفقودة تماما، والشيء القليل الذي

---

1) ومن أهم تلك المحركات وأكثرها استعمالا لدي المهتمين بميدان البحث العلمي:
**Scinus Athinus Scholars Google Open access Open accesstheses Bibliographies thématique.**

عثر عليه موجود في أرشيفات الدول الأوربية. زيادة على أن القسم الأكبر من المصادر التي سجلت فيها أحداث العهدين الحديث والمعاصر في الجزائر قد تمت سرقتها أثناء الحقبة الاستعمارية، وتم تحولها إلى فرنسا. والغريب في الأمر أن الجزائر، وقد مر نصف قرن على استقلالها، لم تطالب باسترجاع تلك الوثائق التي تختزن بين طياتها ذاكرة شعب بأكمله.

وبالإضافة إلي ما تم ذكره، توجد صعوبات أخري ساهمت في عرقلة مسار البحث العلمي في الجزائر، نذكر منها:

أ- ضعف التعليم بوجه عام في مؤسسات التعليم العالي بالجزائر بسبب كثرة الطلبة المتمدرسين وقلة المؤطرين المؤهلين، مثال ذلك: أكثر من نصف المدرسين بالجامعات الجزائرية لا يحوزون على الشهادات الجامعية العليا، لذلك فليس من العجب أن نسجل غياب أبحاث علمية راقية في الجامعات والمعاهد الجزائرية، والدليل أن لا واحدة من الجامعات الجزائرية ولا حتى العربية تم تصنيفها ضمن أفضل 500 جامعة عالمية منتجة للأبحاث العلمية الراقية، كما لم تتحصل أية مجلة جامعية جزائرية كانت أم عربية على التصنيف العالمي Facteur d'impact الذي يقاس على أساسه معيار أهمية وقيمة المنشورات العلمية العالمية. تعليم جامعي ضعيف يساوي غياب أبحاث علمية قيمة.

ب-أغلب الجامعات الجزائرية ناشئة، في مناطق نائية، لا تتوفر على متطلبات التحصيل العلمي الجيد مثل: التأطير النوعي الكافي، الهياكل والوسائل البيداغوجية الملائمة، المكتبات العلمية الراقية، الإدارة الفعالة... الخ، ناهيك عن المشاكل المرتبطة بالجانب الاجتماعي كالسكن، النقل، الأكل، الأجر، وغيرها من المشاكل التي يعاني منها، على السواء، كل من الأساتذة والطلبة والعمال.

ج- سياسة الدولة الخاطئة المتبعة منذ السبعينات في ميدان التعليم العالي التي فرضت ما يسمي بجزأرة الإطار الجامعي l'Algérianisation des cadres، في حين أن كل الدول الكبرى في العالم مازالت تدعم سياسة استقدام الإطارات الكفؤة الجاهزة من جميع الجنسيات للاستفادة منها. بل هناك من الدول المتقدمة جدا في مضمار العلم من سنت قانونا تميزيا (عنصريا) يشجع الهجرة المنتقاة(المختارة) l'Emigration choisie ويمنع منعا

باتا الهجرة الغير مفيدة. والجزائر، للأسف، التي منعت الكفاءات الأجنبية من الالتحاق بجامعتها باسم قانون الجزأرة المشئوم، لم تستطع سن أبسط مرسوم يمنع، بالمقابل، هجرة الأدمغة الجزائرية إلى الخارج.

**خاتمـــــــة.**

نعتقد أننا وصفنا، من خلال هذا البحث المتواضع، حالة البحث العلمي في الجزائر، وحاولنا تشخيص مجموع الصعاب والمشاكل التي مازالت تشكل حجر عثرة في طريق البحث العلمي وبخاصة في ميدان التاريخ، وهي عديدة ومتنوعة، منها ما هو مرتبط بالتكوين والتأهيل، ومنها ما له علاقة مباشرة بالإهمال في التسيير ونقص في الوسائل والتجهيز. نأمل من الخبراء والمسئولين في قطاع التعليم أن ينتبهوا لمعالجتها ودرء أخطارها.